شهادة الاطفال في زمن الحرب :

"الفدائي يقتل الوحش"

اللون الاحمر يعني الثورة

اللون الاخضر يعني بلدنا الخصب المعطاء

واللون الاصفر يعني الصحراء ،

اذ أن الشعب الفلسطيني قد تشرد

بعيدا عن مدنه وقراه » .

بهذا البيان ، الذي كتبه الطفل الفلسطيني مصطفى حسين (١١ سنة) ، استهل منى سعودي كتابها « شهادة الاطفال في زمن الحرب » ، الذي اصدرته مجلة « مواقف » بالتعاون مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . ومصطفى حسين هو واحد من الاطفال ، الذين يرسمون مشاعرهم وافكارهم ، ويحكون عن احلامهم وذكرياتهم ، في هذا الكتاب الفني ، الذي لم تشأ منى سعودي أن يكون « بحثا او دراسة لفن الاطفال » بل « وثيقة وضعها الاطفال الفلسطينيون برسومهم واحاديثهم ، تعبر عن هذا المخاض الثوري الذي يعيشه عرب فلسطين اليوم » .

الطفل مصطفى حسين « تارح من الله الى رام الله ، ومن رام الله الى الكرامة ، ومن الكرامة الى مخيم جرش ومنه الى مخيم القمة » وهو ومعه اكثر من ستين طفلا وطفلة ، يعملون هذا الكتاب بأشواقهم واحزانهم واسرارهم .

ثلاثة مواضيع تملأ ذاكرة الطفولة في الكتاب : نزوح ٦٧ القاسي ، الذي تلخصه الطفلة نوال احمد (٨ سنوات) بهذه الكلمات الى جانب رسومها :

« كان الشجر مرورما وبه ثمر . آت طائرات الاعداء صرت المخيم والشجر
احرقت الاوراق الخضراء ، سقط الورد
سقط التفاح وسقفت بيت الجيران »

او بهذه الكلمات للصغيرة فاطمة (٦ سنوات) :

« حلمت ان الاسرائيليين يلحقون بنا ،
ثم يوقفونا ويقولون لنا : « ارفعوا ايديكم »
ويضربوننا بالرصاص .
هكذا فعلوا في عين السلطان مع اهل بلدنا .
– هل هدموا داركم في عين السلطان ؟
– نعم .
– هل رأيتها ؟
– لا . حلمت بها .

والموضوع الثاني : الحياة في المخيم بعد النزوح . والمخيم هو « البقعة » القريب من عمان ، الذي فصلته السلطات الاردنية مؤخرا ، وكانت السلطات قد فصلته غير مرة من قبل . والرسوم المنشورة في الكتاب ، اختيرت من بين الاف الرسوم التي جمعت فيه ما بين ايلول ١٩٦٨ وحزيران ١٩٦٩ ، ومن اطفال بين ٥ ـ ١٤ سنة .

ومخيم البقعة ، هو كل المخيمات في الاردن ، الوحل في الشتاء ، والشمس الحادة والغبار في الصيف ، والحياة المعذبة ، الحياة التي بالكاد ، في كل الايام .

« لا احب المخيم ولا احب الشرطة ، لانهم يقتلون الشعب ويضربونهم بالعصي ويتهمونهم بسرقة الخيام والزن » . كما تعبر الطفلة شكرية محمد (٧ سنوات)

اما الطفل مصطفى حسين ، فيحكم على حياته في المخيم ، بقسوة غضب ورفض : « هذه ليست حياة » .

والطفلة جليلة (١١ سنة) تروي حياة المخيم ، بحزن بالغ :

« حين تأتي الريح تأخذ الخيام ، في الشتاء يشتد البرد ولا نعرف النوم . يوم الثلج كانت الخيمة تدلف وكنا نعتقد اننا سنموت من البرد . ارواحنا تضيق في المخيم وكأننا سنفنى عن هذا العالم . هناك كنا نردح وكانت لنا ارض » .

اما الموضوع الثالث ، الذي يوقد مخيلتهم الشبوبة ، فهم الفدائيون : صورة البطولة ، شعاعة الشقاء والخطر . وكل واحد من الاطفال ، يتمنى ان يكون فدائيا عندما يكبر ، مثل شقيقه او ابيه ، او ابناء جيرانهم . لم تعد المدرسة جسرا الى المستقبل . لم تعد تتسع للمخيلة او الذاكرة . والفدائي يقف امام ذاكرة كل منهم .

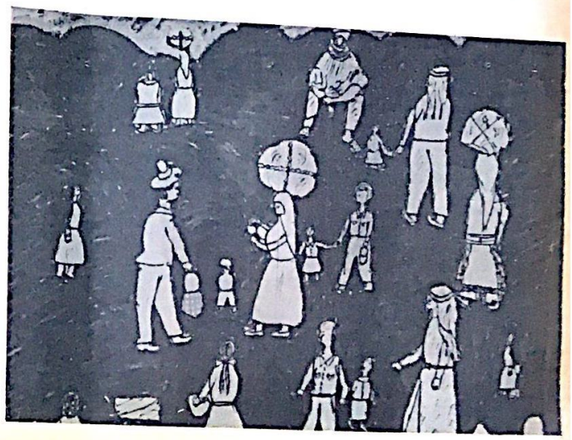

اكثر من ذلك : الفدائي يقتل الوحش في اعماق الطفولة السافية البريئة :

« كنا في الدار . انهدم الشلال قبل ان تهدم الدار ، حرنا والدي الى الخارج اختبأنا في الملجأ ، ثم سقطت دارنا . وخلت ابحث عن حذائي فلم اجده ، شردنا ولم نأخذ معنا ملابس ، كان لدينا سرير واحد تركناه هناك .

سرنا في الحبال اختبأنا في الكهوف ، كان الناس جرحى وكان اهل بلدنا يكون ..

قال لنا شخص : « هناك وحش في راس الجبل » !

حملت امي اختي الصغيرة ، وابي حملنا انا واخي ، وظل الوحش يجري وراءنا . كان وحشا كبيرا اسود . اتى فدائي وماء طلقة فهرب » .

هذه الحكاية ، بروبها بالرسم والكلمات الصغير زهير محمود (٦ سنوات) .

والاطفال الباقون ، يصرحون انهم سيصبحون فدائيين . وقد شهد معظم هؤلاء معركة الكرامة ، ونزحوا من الكرامة الى البقعة .

والفصل الاخير من الكتاب عن الفدائيين الصغار ، الذين استلموا البنادق من ابائهم ، وهذه الطفولة المقاتلة هي غد شعب فلسطين . وهم « الثورة في الثورة » . ومن هؤلاء الشبل « غيفارا » الذي يقول : « المقاتلون الفلسطينيون يقومون بعمليات بطولية ، ولكن اطفال اليهود الذين يتدربون على حمل السلاح سيقودون في المستقبل حرب التحرير الشعبية الثورية ، انهم سيكونون اكثر وعيا ومعرفة للعدو » .

ومنهم كذلك الشبل سمير (١٠ سنوات) .

« بعض الناس يبحثون فقط عن طعام يوميهم وهذا يكفيهم . انا لا يهمني كيس الطحين ، وعملات وكالة الغوث ، سجلت نفسي شبلا في حركة فتح في اول مجموعة » .

هذا بعض من شهادة الاطفال ، المكتوبة بلغة البراءة والحماسة والالوان ، وهي انما تتوجه الى كل وجدان حي ، وضمير حر ، لتؤكد هذا الوعد الكبير ، الذي تحمله ثورة الجماهير الفلسطينية اليوم ، في سبيل ان تقلب زمن الحرب الامبريالية ، لمصلحة المضطهدين والمسلوب ترابهم .

(...)

هوامش

● الى جانب رسوم الاطفال واحاديثهم ، يضم الكتاب صورا فوتوغرافية بالاسود والابيض ، اشترك في التقاطها هانئ جوهرية ، منى سعودي ، اود اوريوم ، جون كارسول .

● الاحاديث باللغتين العربية والانجليزية . كتب الخط العربي فلاديمير نعاري ، باستلهام روح الطفولة والاعتماد على الانكسارات .

● عرضت مجموعات الرسوم من قبل في الاردن ولبنان والعراق والسويد والدانمارك (اعتقلت منى سعودي صيف ١٩٦٩ في العاصمة الدانماركية ، بسبب معرض الاطفال الذي اعدته واعددت ، بعدما نسب البوليس اليها تهمة مفعمة تعلق بالعمال (من غودرون) ، وكذلك عرضت الرسوم في اليابان والولايات المتحدة .

● كان وراء الطباعة الفنية والسعر المرتفع للكتاب ، هو تشجيع المحافل الاجنبية على اقتنائه ، ومن جهة اخرى لتحويل ريع الكتاب ، للمقاتلين الفلسطينيين .

نحو بطل ثوري .. دون "قناع"

يتوزع بطل الراوي في (القناع) هدفان ، التمرد والثورة في الاولى ، الخروج مرور بلقمة الذنبة والانطلاق والتحقيق الذات عبر الممارسة المتحررة ، وفي الثانية الحقد على النظام لانه يمثل الحواجز ولانه يفرز ايضا كل مسببات التمرد ويصب الهدفان في قناة واحدة هي الثورة وفي يتوازن الفعل واللغة بشكل اكثر حساسية واكثر ثقافة . الفصة مكثفة .. البطل المثقف يذهب ليمارس الثورة ، لانه يريد ان يرى الفعل الذي تناسل في راسه عبر القراءات الكثيرة عن الثورة وثاني سريعة ومبرمجة افعال البطل في اكثر من قصة لكنه هنا في (الحقائب) بطل التوابا الحسنة المتحرس بالوعي الثوري يضعه خالد بمواجهة التربص الشرس للنظام ويصطدم التوجه الثوري بجدار هذا النظام وتفشل تجربة اشعال النار النظيفة ، بحتج خالد الراوي وبشتم بقضب كل من يحاول نعت بطله بصفات بورجوازية ومن خلال القضب يتوجه خالد بسؤال يعتبره شرعيا ومبررا لسلوك بطله ـ ومن هم الذين يقودون الثورة الان في العالم اليسوا هم البورجوازيون الصغار ؟ ـ وبهذا خالد بعد عند علامة الاستفهام ، يقول شهاب احمد في (الى الامام) ـ بطل خالد الراوي واحد من اثنين .. اما ان يحمل بندقية ، او حقيبة سفر انيقة ، وهكذا فان خالد الراوي يقيم ارضا بصودها التمزق والتعب والشهود ليرسم بطله البورجوازي ، ومن ثم ينطلق الى البطل البديل ـ وبقى القناع يحتفظ بوجه البطل البورجوازي ويتململ الوعي الثوري داخل هذا القناع ولكنه يحاول استثمار هذا الوعي بطرحه بديلا لكل الهواجس اليومية التي تتفاعل وتكثف شكلا من البطولة ، قادرا على تجاوز التفكير بالثورة الى ممارستها والانتهاء بالموت او الفشل قبل ايقاد اللهب ، واذا كانت صورة هذا البطل وسلوكه الثوري غير قادرين على ابقاظ قيم جديدة بالثورة عبر التواجد داخل وعيها المغير ، فان وجه البطل يظل داخل القناع متلبسا بقناعة دافئة خادعة . ان هذه النوايا المخلصة ليست البديل عن الثورة انه يشارك من خلال حلمه بالثورة على الاقل ، لكن الخط العام لقصص الراوي في القناع ، يحتمل اكثر من استدعاء الوعي والتمثل بالبطل الرافض على انه بطل العصر وسمته الاخلاقية في وجه شراسة المعسكر العدو ، ورغم وجود خالد الراوي في دائرة الثورة حتى الان وحتى ساعة التفاعل مع ابطاله فقد بقيت الملامسة من الخارج هي الابرز ولا يشكل هذا ، ادانة للكاتب اذا كان يطمح ان يمارس عملية نقد للبورجوازي الصغير الذي يحلم بالثورة والذي يمارسها ملامسة من خلال الحلم، وانسجاما بالاوعي .

ويتأكد من خلال ملازمة الوعي الثوري سقوط الافتراضات ، والاحتواءات المتشككة بقدرة الثوري على صنع الثورة ، ومصابحته لفجرها خارج التخوفات والانتظار ، ان ما جرا خالد ان يوجه للبطل البورجوازي المنتمي للثوره بوجدانه هو ان يقدمه داخل هذا الانتماء بالفعل، متكاملا بوعيه ومنشدا بانشداه الى البطل الذي يستطيع فعلا ان يقاتل ويوميا ، ويواصل تقدمه بالثورة نحو المناخات التي تتطلب التغير الثوري ، ويصبح البطل الاخر يحمل هذه الصفة (الثورية) من وجوده ضمن دائرة البطولة التي تلغي التحسس والانصراف الى الفعل ، دون ارتعاب لانها تعرف تماما ما تعنيه الثورة ، وهذا عبر القناعة النقية وهو وحده الذي يمزق خرافة اليقين بمجيء التغيير خلال انتظار الثورة للزمن ليصبح هو القائد ، لان الانسان الثوري يرفض احتواءات الزمن ، ولا يقنع بالنوايا وان كانت طيبة .

□ شريف الربيعي

سبقوه كتبوا اليه ان الزيت بانتظار من يسكبه ويشعل النيران ـ وعليه الان تحويل كتب الثورة الى بدبه ورأسه ـ النار هي الولادة النظيفة ـ الطريق تنتظره بنادق النظام الشرس ـ وسافر البطل الى العالم الاخر دونما حقائب .. هنا ثقافة . الفصة مكثفة .. البطل المثقف يذهب ليمارس الثورة ، لانه يريد ان يرى الفعل الذي تناسل في راسه عبر القراءات الكثيرة عن الثورة وثاني سريعة ومبرمجة افعال البطل في اكثر من قصة لكنه هنا في (الحقائب) بطل التوابا الحسنة المتحرس بالوعي الثوري يضعه خالد بمواجهة التربص الشرس للنظام ويصطدم التوجه الثوري بجدار هذا النظام وتفشل تجربة اشعال النار النظيفة ، بحتج خالد الراوي وبشتم بقضب كل من يحاول نعت بطله بصفات بورجوازية ومن خلال القضب يتوجه خالد بسؤال يعتبره شرعيا ومبررا لسلوك بطله ـ ومن هم الذين يقودون الثورة الان في العالم اليسوا هم البورجوازيون الصغار ؟ ـ وبهذا خالد بعد عند علامة الاستفهام ، يقول شهاب احمد في (الى الامام) ـ بطل خالد الراوي واحد من اثنين .. اما ان يحمل بندقية ، او حقيبة سفر انيقة ، وهكذا فان خالد الراوي يقيم ارضا بصودها التمزق والتعب والشهود ليرسم بطله البورجوازي ، ومن ثم ينطلق الى البطل البديل ـ وبقى القناع يحتفظ بوجه البطل البورجوازي ويتململ الوعي الثوري داخل هذا القناع ولكنه يحاول استثمار هذا الوعي بطرحه بديلا لكل الهواجس اليومية التي تتفاعل وتكثف شكلا من البطولة ، قادرا على تجاوز التفكير بالثورة الى ممارستها والانتهاء بالموت او الفشل قبل ايقاد اللهب ، واذا كانت صورة هذا البطل وسلوكه الثوري غير قادرين على ابقاظ قيم جديدة بالثورة عبر التواجد داخل وعيها المغير ، فان وجه البطل يظل داخل القناع متلبسا بقناعة دافئة خادعة . ان هذه النوايا المخلصة ليست البديل عن الثورة انه يشارك من خلال حلمه بالثورة على الاقل ، لكن الخط العام لقصص الراوي في القناع ، يحتمل اكثر من استدعاء الوعي والتمثل بالبطل الرافض على انه بطل العصر وسمته الاخلاقية في وجه شراسة المعسكر العدو ، ورغم وجود خالد الراوي في دائرة الثورة حتى الان وحتى ساعة التفاعل مع ابطاله فقد بقيت الملامسة من الخارج هي الابرز ولا يشكل هذا ، ادانة للكاتب اذا كان يطمح ان يمارس عملية نقد للبورجوازي الصغير الذي يحلم بالثورة والذي يمارسها ملامسة من خلال الحلم، وانسجاما بالاوعي .

ويتأكد من خلال ملازمة الوعي الثوري سقوط الافتراضات ، والاحتواءات المتشككة بقدرة الثوري على صنع الثورة ، ومصابحته لفجرها خارج التخوفات والانتظار ، ان ما جرا خالد ان يوجه للبطل البورجوازي المنتمي للثوره بوجدانه هو ان يقدمه داخل هذا الانتماء بالفعل، متكاملا بوعيه ومنشدا بانشداه الى البطل الذي يستطيع فعلا ان يقاتل ويوميا ، ويواصل تقدمه بالثورة نحو المناخات التي تتطلب التغير الثوري ، ويصبح البطل الاخر يحمل هذه الصفة (الثورية) من وجوده ضمن دائرة البطولة التي تلغي التحسس والانصراف الى الفعل ، دون ارتعاب لانها تعرف تماما ما تعنيه الثورة ، وهذا عبر القناعة النقية وهو وحده الذي يمزق خرافة اليقين بمجيء التغيير خلال انتظار الثورة للزمن ليصبح هو القائد ، لان الانسان الثوري يرفض احتواءات الزمن ، ولا يقنع بالنوايا وان كانت طيبة .

□ شريف الربيعي

تعالي نبوس التراب

شعر : محمد القيسي

تعالي لنمحو أسامينا من جوار السفر
تعالي لنكتب أسامينا من جديد
ونرسم خارطة للبلاد
ونغتال فينا انتظار البريد
تعالي ،
فمعد لوات الاوان
وموت القصيده
سنشقى ونرضخ قسرا ،
لتقويم هذا الزمان
تعالي نبوس التراب
تعالي نعانق كل الشجر
تعالي نسطر تاريخنا وسط هذا الحريق
ونصغي لصوت ينادي : تعالي
تقول الرباح : اذا ما أتيت ،
سنفقد حتى الكفن
ونبرأ منا تراب الوطن .

• • •

غدا ، آه لو ميّ زوني

لماذا أحب ؟
وأين أخي ، وحمي
وهم يسألون ؟!
عن الحب والياسمين
وكيف انتهى كل هذا ؟
أكان سرابا ،
أمات الحنين ؟!
تعالي نقيم هنا لنا منزلا أو كمين
نواصل منه لظى المعركه
لقد خاننا الاصدقاء ،
علانية ،
فاحدى من ستار النهايه
والمحم يستبحرونك الان ،
ويصلب وجهك في كل ساحه
وتمحى تضاريس جسمك ،
تمشى عليه الهياكل
وأسمك ينفى من الخارطة
تعالي ،
تعالي نقاتل .

١٩٧٠/٨/٨م

من مجموعة « الموت خلف الباب » تصدر قريبا عن « دار العودة »

الهدف
مجلد السنة الأولى
٥٢ عددا في مجلد أنيق
٢٦ تموز ١٩٦٩
٢٦ تموز ١٩٧٠
مع فهرس يسجل محتويات المجلد كاملة
٢٥ ليرة عدا أجور البريد
اطلبه من الادارة
ص.ب ٢١٣ بيروت